فهرس العدد



نشرة دعوية تُعنى بالتراث
والمخطوط والسِيَر والتَّاريخ

التحرير:
سمير سمراد

للتواصل:
الهاتف:
(+213)557658006
البريد الإلكتروني:
aboumohamedsamir@gmail.com
الموقع:
www.ilmmasabih.com

تجدون في هذا العدد

العدد الرابع، ربيع الآخر ١٤٤٠هـ- نوفمبر٢٠١٨.

بِلاَ مَنٍّ!

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمّدًا عبده ورسوله.

ثمَّ أمَّا بعدُ: ما شاء الله لا قوَّةَ إلا بالله. الحمدُ لله الَّذِي هَدَانا لِهَذَا، وما كُنَّا لِنَهتدِيَ لولَا أَنْ هَدَانَا اللهُ. لَولاَ اللهُ ما اهْتَدَيْنَا ولا صُمْنَا ولا تَصَدَّقْنَا ولا صَلَّيْنَا، ولا خَطَّت أَنامِلُنا شيئًا في بَثِّ العِلم ونَشْرِ الهداية وبَعْثِ آثارِ الأسلافِ، فلَهُ سبحانه وحدَهُ المِنَّةُ، فَأَنْزِلَنْ -يا رَبِّ- سَكِينَةً علينا، وَنحنُ عن فَضْلِكَ ما استغنَيْنَا.

هذا وإنَّ ما يَجدهُ القارئُ الكريمُ في هذه الصَّحَائِف، هُوَ لهُ غَيرَ مَمْنُونٍ عليهِ فيهِ، وإِنَّما هِيَ هدايَا مِن أخٍ يتشبَّهُ بالكِرَامِ، وَيقتدِي بفِعَالِ رجالٍ، لا يَمُنُّونَ على أحدٍ، ويرونَ المِنَّةَ للنَّاسِ عليهِم؛ أن كانُوا يتلقَّونَ عنهم ويَسمعُونَ منهُم، ويقولُ قائِلُهُم: وَدِدْتُ لو أنَّ النَّاسَ عَلِمُوا ما عَلِمْتُ وعَرَفُوا ما عَرَفْتُ، ويقول: ولَم ينسِبُوا إليَّ شيئًا منهُ. وَإنَّما هِيَ أمانةُ العلم وحبُّ الخيرِ للنَّاسِ والنُّصحُ لهم. ونعوذُ بالله -كما تعوَّذُوا- من تعاظُمٍ أو افتخَارٍ أو ادِّعاءِ منزلةٍ لم نبلُغْهَا أو تشبُّعٍ بمَا لم نُعْطَ -أعني: نفسِي وأمثالِي-.

وقد استوقفَنِي مِن آثار أولئك الأسلاف الصَّالحين: أثرانِ بالغَانِ في عِظَةِ النَّفْسِ وتَربيتِهَا:

أولهما: عن عوف الأعرابي؛ أَنَّهُ كان يَقُولُ لِجُلسَائِهِ: «**أَمَا وَاللهِ، مَا نُعَلِّمُكُمْ مِنْ جَهَالَة، وَلَكِنَّا نُذَكِّرُكُم بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَكُمْ بِهِ**»[١].

ثانيهما: قالَ الحسنُ يومًا لأَحَدِ بَنِي الشِّخِّير: حَدِّثْنَا يا غُلاَمُ!! فقال: إِنَّا لَم نَبْلُغْ هَذَا يا أَبَا سعيدٍ! فقال الحسنُ رَحِمَهُ اللهُ: «**وأَيُّنَا بَلَغَ هذا، وَدَّ الشَّيطَانُ، لَو تَمَكَّنَ مِن هذِهِ. وَاللهِ لولاَ مَا أَعْقَدَ اللهُ على العُلماءِ لَم نَنْطِقْ!**»[٢].

وكتبه:
أبو محمد سمير سمراد

[١] [رواه أحمد في «الزهد» (ص٣٧٦)].

[٢] [رواه أحمد في «الزهد» (ص٣٢٨)].

فِرْيَةُ الوَهَّابِيَّة (٠٤)

• الشَّيخ عبد القادر بن إبراهيم المَسْعَدي

❍ قال مُحَرِّر جريدة «البَصائِر» السَّلَفِيَّة: «الشَّيخ عبد القادر بن إبراهيم: هُو مِن «مَسْعَد»؛ إحدى قُرَى «أولاد نَايِلْ»، عالِمٌ ذكِيٌّ مُصْلِح، تَخْشَاهُ الطُّرُقِيَّةُ على سُمْعَتِها في تلك الجهات، فهِيَ لا تَفْتَأُ تُدَبِّرُ لهُ المكايِد لِتُعرْقِلَ حركتَهُ الإِصلاحيَّة»[١].

❍ قال الشَّيخ عبد القادر بن إبراهيم المَسْعَدي (١٨٨٨م- ١٩٥٦م) رَحِمَهُ اللهُ: «أنا مُنذُ عرفتُ نفسِي لم أجِد عن مَشْرَبِي طَرفةَ عَين من قَولِ الحقِّ ولَوْ على النَّفْسِ والأَقربين، واتِّباع كتابِ الله وسُنَّة رسولِه ﷺ، وتَزْيِيفِ البِدَع بِأَسْرِها، مُقْتَدِيًا في ذلك بِهَدْيِ ابنِ عبد الله، وبِقَولةِ إمامِ الأئمَّة ونَجْم أهل السُّنَّة؛ مالكِ بنِ أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَن اسْتَحسَنَ بِدْعَةً فقد ادَّعى أنَّ مُحمَّدًا ﷺ خانَ الرِّسالَة»، إذْ لي مَعرفةٌ بِمَذْهَبِه ومَشْرَبِهِ، وما زلتُ ولَن أزَال أدعُو إلى سبيلِ رَبِّي بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَة الحَسَنَة ما عِشتُ، مُسْتَسْهِلاً مَا أُلاَقِيهِ في تِلكَ السَّبِيل»[٢].

❍ وَقال رَحِمَهُ اللهُ في ردِّهِ على أَربَاب الزَّوَايَا وأصحاب الطُّرُق الصُّوفيَّة؛ مِمَّن كانَ ينبِزُ العلماء السَّلَفِيِّين الجزائريِّين بالوَهَّابِيِّين!:

«لاَ طريقةَ تُوصِلُ إلى مَرضاةِ اللهِ غَير طريقِ مُحمَّدٍ ﷺ وأَصحابِهِ والأئمَّة الرَّاشِدين:

أُولَئِكَ آبائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِم
إذَا جَمعتنا يا جَرِيرُ المَجَامِعُ

وإن كُنتِ تَنْسِبِينَهم أَيَّتُهَا الوَرَقَةُ الضَّالَّةُ المُضِلَّة! إلى ابنِ عبدِ الوهاب، إلَّا أَنَّهُ حنبليٌّ مُتَصَلِّبٌ في دِينِهِ، جزاهُ اللهُ عَن الأُمَّة والمِلَّة خيرًا كَسَائِر أَئِمَّة المسلِمين الهَادِين المُهتَدِين:

فَلاَ عَيبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُم
بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِرَاعِ الكَتَائِب

وإِلاَّ فَعَادِلِي بَينَ مَذهبِهِ السُّنِّي السَّنِيّ، وبَين مَشْرَبِك البَاطِنِيِّ الإِلْحَادِيِّ الإِسماعِيلِيِّ الرَّافِضِي؛ مَذْهَبِ الرَّقْص والشَّخِير والضَّرب على الأَسْتَاهِ بالبَنْدِير. فَأَينَ الثَّرَى مِنَ الثُّرَيَّا؟»[٣].



[١] [«البَصائِر»، عدد١٦١، ص٣].

[٢] [«البَصائِر»، عدد ١٦٨، (ص٤-٥)].

[٣] [«البَصائِر»، عدد ١٦٨، (ص٤-٥)].

الشَّيخ أحمد حمَّاني يَغَارُ على التَّوحِيد، ويَحطِمُ القُبُورِيَّة والقُبُورِيِّين

أو الشَّيخ أحمد حمَّاني يَكْشِفُ عن جِنَايةِ الشَّيخ الشَّعراوي على بلاد الجزائر وأهلِها!

• الشَّيخ أحمد حمَّاني

قَال رَحِمَهُ اللهُ بعد أن أورد حديث: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»:

«...ورغم هذا النَّهي الصَّريح، وهذا التَّحذير الشَّديد فإنَّ بعضَ المسلمين لم يَنتهُوا، واتَّبعوا سَنَنَ اليهود وسُنَّتهم، وقلَّدوا أهل الكتاب في طريقتهم، فاتَّخذوا قبور (أوليائهم) مساجد، وشَدُّوا الرِّحَالَ إليها، وطَافُوا بها وتَمَسَّحُوا عليها، ومِنهم مَن يَدْعُوا سَاكِنِيهَا -مِن دُونِ اللهِ أو مَعَ اللهِ- لِجَلْبِ نَفْعٍ أو دَفْعِ ضَرٍّ، وربّما كانت خشيتُه منهم أكبر في نفوسهم مِن خشية الله، وحُبُّهم إيَّاه كحبِّهم اللهَ، ولا حول ولاَ قوَّة إلاَّ بالله، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، وليسَ هذا الأمر قريبَ العَهْدِ بَلْ هو قديم، وليس خاصًّا بقومٍ، بل عمَّ بلاد الإسلام، قالَ الشَّوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «كم قد سرى مِن تشييد القبور وتحسينها مِن مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظُم ذلك فظنُّوا أنَّها قادرة على جلب النَّفع ودفع الضَّرّ، فجعلوها مَقصدًا لطلب قضاء الحوائج، وملجأً لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يَسأله العباد من ربهم، وشدُّوا إليها الرِّحال، وتمسَّحوا بها واستغاثوا، وبِالجملة إنَّهم لم يَدَعُوا شيئًا ممَّا كانت الجاهليَّةُ تَفعلُهُ بالأصنام إلاَّ فعلوه... ومع هذا المنكر الشَّنيع والكُفْر الفظيع، لا نَجِدُ مَن يَغْضَبُ للهِ ويَغَارُ حميَّةً للدِّينِ الحَنِيف، لا عالمًا ولا متعلِّمًا ولا أَميرًا، ولا وزيرًا ولا مَلِكًا. وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يُشَكُّ معه أنَّ كثيرًا من هؤلاء القُبُوريِّين -أو أكثرهم- إذا توجهت عليه يمينٌ مِن جهة خصمه حَلَفَ بالله فاجرًا، فإذا قيل له بعد ذلك: احْلِف بشيخك ومُعتقدَك الوليِّ الفلاني تَلَعْثَمَ وتلكَّأَ وأَبَى واعترف بالحق. وهذا من أَبْيَنِ الأدلَّة الدَّالَّة على أنَّ شِركَهُم قد بلغ فوقَ شِركِ مَن قال: إنه تعالى ثاني اثنينِ أو ثالث ثلاثة»اهـ.

وما ذكره الشَّوكانيُّ معروفٌ مُشَاهَدٌ -منذ أجيال- في كلِّ بلاد المسلمين، وما رواه مِن تَقَاعُسِ العُلماء والمتعلِّمِين والأمراء والوزراء دون الواقع

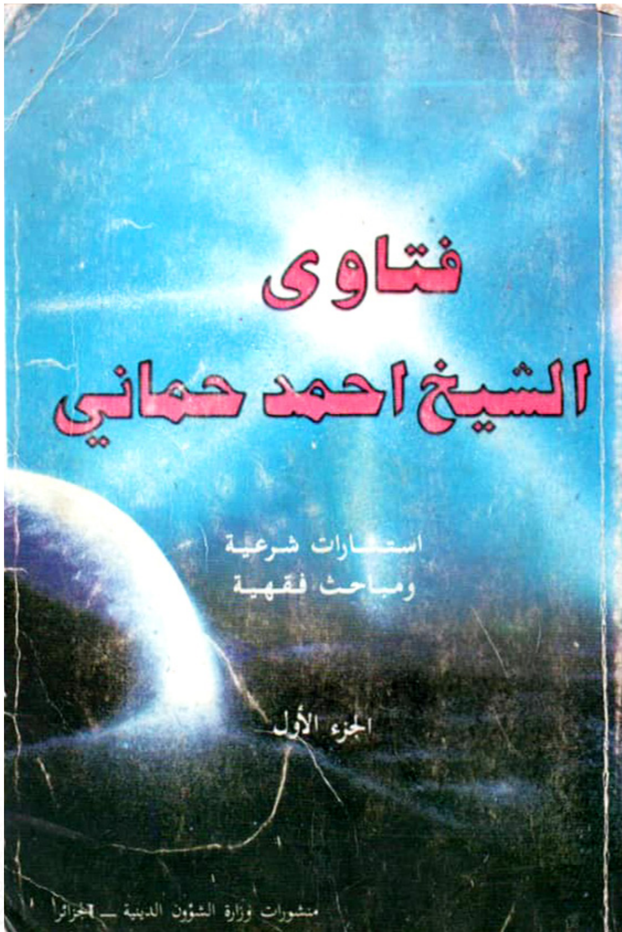
بكثير، فإنَّ الفتنة الكبرى والبلاء الأعظم جاء المسلمين مِن مُشَارَكَةِ بعضِ العُلماء في الحجّ إلى هذه القبور ودُعَاءِ أصحابها، واعتقادهم في (الأولياء) مِن سَاكِنِيهَا، فَيَوْمَ أن زُرتُ «القاهرة» في أواخر السَّبعينات وصادف إقامة «مولد سيدي أحمد البدويّ» (والحجّ إليه)، فذكرت الصُّحف أنَّ عدد (الحُجَّاج) زاد على مليونين اثنين، وكان في طليعتهم شيخ الجامع الأزهر ووزير الأوقاف «الشُّؤون الدِّينيَّة»، وكلاهُما مِن أشهر علماء الأزهر، والثَّاني مكثَ في الجزائر بضع سنواتٍ، وأَحْيَا فِيهَا ما كانت قَضَتْ عليهِ الحركة الإصلاحيَّة ودعوة عبد الحميد بن باديس و«جمعيَّة العلماء المسلمين» قبلَ حَظْرِ نشاطِ نظامِها وعملِها كمنظَّمة.

فمسؤوليَّة العلماء أعظمُ من مسؤوليَّة الحُكَّام والأُمَراء والوزراء، ذلكَ أنَّ العامَّةَ قد لا تُفتنُ بهم ولا تتَّخذهم قدوةً في الدِّين، وإن كانَ مِن أَوْكَدِ واجباتهم حمايةُ وصيانةُ المسلمين في أموالهم وأرواحهم وأنفسهم ودينهم ودنياهم...».

[«فتاوى الشَّيخ أحمد حمّاني: استشارات شرعيّة ومباحث فقهيّة» (٢/ ٤٩٩-٥٠١)، منشورات وزارة الشّؤون الدِّينيَّة، الجزائر، (٢/ ٨٨-٩٠)، طبعة عالم المعرفة، جمع وتقديم: مصطفى صابر].

❐ ليقول في آخرِ أجوبته (٢/ ٥٠٨)،ط. الوزارة، (٢/ ٩٠)، ط. عالم المعرفة:

«ملاحَظة: ... ويُلاحَظُ في هذه الأجوبة... أنَّ بعضَ عُلماء الأزهر -وهو الشَّيخ الشَّعراويُّ- بَثَّ أثناءَ زيارتِهِ للجزائر كثيرًا مِن الضَّلالات، منها تقديسُ القبُور، والخُضُوع للقُبوريِّين، وقد تَوَلَّى مِن بعدُ الوزارةَ لشُؤُونِ الدِّين في مِصر، فلم يَحْذِفْ مَا يَقَعُ في المَوَالِيدِ القُبُوريَّة، بلْ ذَهَبَ وزَارَهَا وعَظَّمَهَا» اهـ، وتاريخُ الأجوبة والملاحَظة: ١٥/ ٠١/ ١٩٨٠م.



لَيْتَكُمْ كُنْتُمْ مَالِكِيَّةً!

كلمة صريحة للشَّيخ عمر بن البسكري العُقْبِي رحمه الله

• الشَّيخ عمر بن البسكري العُقْبِي

قال الشيخ عمر بن البسكري العُقْبِي «السَّلَفِيّ»[١] رحمه الله؛ [توفي عام: ١٩٦٨م] ... في مناظرته مع الطُّرُقِي بعُنوان: «مُناظرةُ المُصلح والمُحَافِظ!»:

المُحَافِظ[٢]: نحنُ مالكيَّةٌ لا نُريد إلا مذهبَ الإمام مالك بن أنس رحمه الله.

المُصْلِح: تُريدُونَ مذهبَ مالك؛ فمَا أَعظمَها سَعادةً لو تَبِعتُم لنا مَذهبَ مالك!

مالكٌ رحمه الله يقولُ: سَوْقُ الهَدَايَا لِغَيرِ مكةَ ضلالٌ. وأَنتُم تَسُوقُونَهَا وتَنْحَرُونَهَا عندَ قُبُور الصَّالِحِين!

مالكٌ يقول: القِراءةُ على القُبور ليسَت مِن عمَلِ السَّلَف. وأَنتُم تقرؤُون!

مالكٌ يُحَرِّمُ البناءَ على القبور. وأَنتُم تَبْنُونَ!

مالكٌ يَمنَع القراءةَ بصوتٍ واحدٍ. وأَنتُم تُجِيزُونَ!

مالكٌ يَمنَع التهليلَ وسائرَ اللَّغْوِ عند حَمْلِ الميت. وأَنتُم تُهَلِّلُونَ وتَلْغُونَ وترَنَّمُونَ!!!

مالكٌ لا يُقسِّمُ البدعةَ إلى خمسةِ أقسامٍ. وأَنتُم تُقسِّمُونَ!

قُلْ لِي بِرَبِّكَ لأَيِّ مَذهبٍ تَنْتَسِبُونَ وبِأَيِّ شَريعةٍ تَدِينُونَ؟!

قُلنا لكُم: الرُّجُوعُ إلى ما كانَ عَلَيهِ السَّلَفُ. قُلتُم: نَحنُ مالِكِيةٌ!...

قُلنا لكم: الرجوعُ إلى مذهب مالكٍ. قُلتُم: نَحْنُ خَلِيلُونَ!!...

قُلنا لكم: الرجوعُ إلى ما كان عليهِ خليلٌ. قُلتُم: نَحنُ على ما جَرَى بِهِ العُرْفُ ومَضَى عليهِ العَمَلُ!!!

ولِمَ ذَا مَن كانَ قَبلَكُم مِن العُلماءِ والصُّلَحاءِ لاَ يَنْهَوْنَ...»اهـ. [مجلَّة «الشِّهَاب»، جُزء صفر١٣٥٢هـ/جوان١٩٣٣م]

[١] هكذا لَقَّبَتْهُ جريدةُ «البصائر» في سلسلتها الثانية!

[٢] يعني: الطُّرُقِيّ.

المَخْرَجُ مِنَ الأَزْمَة!

نصيحة الشَّيخ عمر دَرْدُور رَحِمَهُ اللهُ

• الشَّيخ عمر دردور

«الشَّيخ عمر دردور: قائِدُ الحَرَكة الإصلاحية بِجَبَلِ الأَوْرَاس، ومُعتَمَدُ جمعيةِ العُلماء بِهِ، أَوَّلُ عَالِمٍ جزائريٍّ يُسجَنُ ظُلمًا في سبيلِ نَشرِ الهِداية الإسلامية»[١].

قال الشَّيخ عمر دَرْدُور -تلميذ الإمام ابن باديس- (رحمهما الله) [١٩١٣م-٢٠٠٩م]:

«إنَّ الفَترةَ التي نَعيشُها في الوقت الحاضر هي فَترَةُ خِزيٍ وعَارٍ وبَهْدَلَةٍ!!! وهذا الخِزيُ والعَارُ هُو عِقابٌ مِن اللهِ لنا؛ لأَنَّنَا نَسِينا اللهَ فأَنسانَا أَنفُسَنا. عندما كان شِعارُنا في الثورة التحريرية: اللهُ أكبر! والعِزَّةُ للهِ ولرسولِه والمؤمنين، كان النَّصْرُ حَلِيفَنَا، فتغلَّبْنَا على أَعظمِ قُوةٍ في العالم! إنها مُعجزةُ اللهِ للثورة الجزائرية في القرن العشرين! إنها مُعجزةُ الإيمان، إنها مُعجزةُ الاِعتصام بحَبْلِ اللهِ ونَبْذِ التَّفَرُّق.

إنَّ فَترَةَ الـذُّلِّ والهَوَان التي نَعيشُها الآنَ هِيَ عقابٌ مِن اللهِ؛ عَاقَبَنَا بالخِزْيِ والعَارِ؛ لأَنَّنَا خَرَّبْنَا وطنَنَا وأَصبَحنَا عَالَةً على إِنتاجِ غيرِنا! وتَخَلَّيْنَا عن لُغَتِنَا، بل حَارَبْنَاهَا! وتَخَلَّيْنَا عن دِينِنا إلى أن طَمِعَ الاِستعمارُ في الرجوع إلى وطننا، بواسطةِ الخَوَنَةِ مِن أبناء الجزائر! تحت غطاءِ الدِّيمُقراطية والشَّفافِية!!

فالمَخرَجُ مِن الأَزمَـةِ هُـو الـرُّجُـوعُ إلـى اللهِ والاِعتِصَامُ بحَبْلِ اللهِ!»[٢].

عندما كان شِعارُنا في الثورة التحريرية:

اللّهُ أكبر!

والعِزَّةُ للّهِ ولرسولِه والمؤمنين،

كان النَّصرُ حَلِيفَنَا، فتغلَّبْنَا على أَعظمِ قُوةٍ في العالم!

الشَّيخ عمر دَرْدُور الجزائري

[١] [«البصائر»، عدد ٩٥، ١٢ ذي الحجة ١٣٥٦هـ- ١٤ جانفي ١٩٣٨م].

[٢] [نقلًا عن كتاب: «الشيخ عمر دردور، سيرة ومسيرة» (ص١٠٣)].

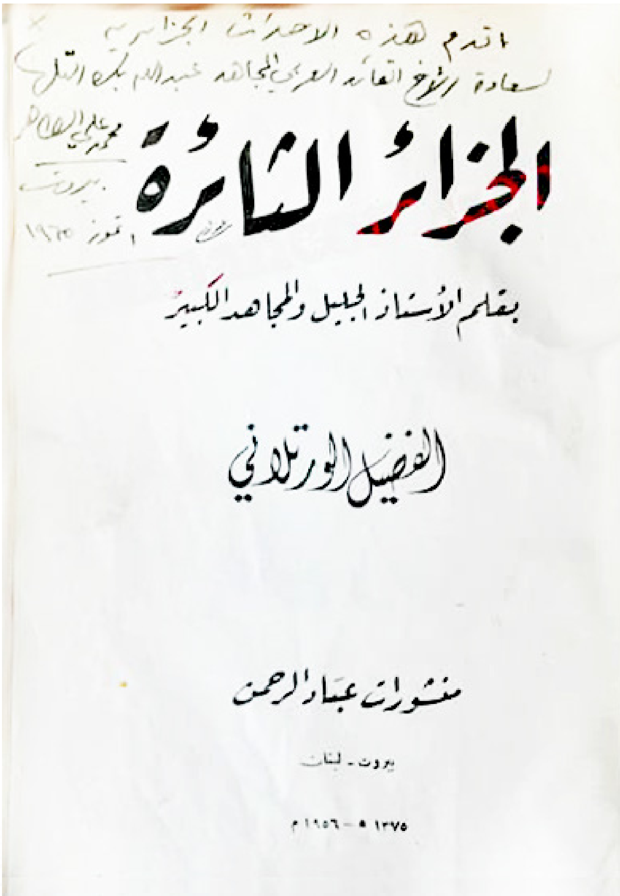
الوَقْتُ وَقْتُ أَعْمَال، لاَ وَقْتُ أَقْوَال!!

مِن خِطابٍ لِلشَّيخ الفُضَيْل الوَرْتِلاني

• الشَّيخ الفُضَيْل الوَرْتلاني

في يوم الثلاثاء ٢٢ رجب ١٣٥٦هـ (٢٨ سبتمبر ١٩٣٧م)، التالي لِيومِ افتتاح مدرسة «دار الحديث» بتلمسان... «أَلَحَّ الحاضِرون على «الشَّيخ الفُضَيْل الوَرْتِلَانِي» أن يُلقي خطابًا، ورغم اعتذاره عن ذلك بالجهد والتعب، زادوا عليه إِلحَاحًا، فقام فألقى خطابًا بليغًا، فقال:

" أيُّها الإخوان! لقد سمِعنا مِن الأقوال الشيءَ الكثير، ولكننا لم نَرَ مِن الأعمال شيئًا!! وليسَ الوقتُ وقتَ أقوالٍ ولكنَّهُ وقتُ أعمال، فيَجِب الإِقْلالُ مِن القَول والإكثار مِن العمل، وإلا كُنَّا كذَّابين، لا نُصدِّق أقوالَنا بأفعالِنا، واللهُ سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف:٢-٣]، يجبُ علينا أن نتخلَّق بأخلاقِ محمدٍ وأن نَهتدي بهَدْيِ محمدٍ، وإن لم نَعلم خُلُقَه وهَدْيَهُ فلْنَنظُر إلى القُرآن، وقد قيل لعائشةَ ما هوَ خُلُق محمدٍ فقالت: خُلُقُهُ القُرآن. إن محمدًا؟ -واللهِ- قُرآنٌ مَحسوسٌ يَمشي فوق الأرض، هل أُوذِينا في سبيل الله ما أُوذي محمدٌ؟ هل صبَرنا في سبيل الله ما صبَر محمدٌ؟ هل ثبَتْنَا في سبيل الله ما ثبت محمدٌ؟ وهل نحن أَعَزُّ عندَ الله مِن محمدٍ...؟... ثم نَعَى على الأَغْرَار الذين اسْتَهْوَتْهُم مبادئُ بعضِ الأَحزاب الهَدَّامَة! فترَكُوا مبادئَ محمدٍ وتعاليمَ محمدٍ التي هِيَ مِن وَضْعِ اللهِ علاَّم الغُيُوب، ونَسُوا مَاضِيهم المَجِيد الحافِل بالعظائِم وجلائِل الأعمال..."اهـ[١].



[١] [عن جريدة «الأُمَّة»، ١٩٣٧م].

الشَّيخ عيسى عليَّة الإبراهيمي الدِّيسِي

من الرِّجال الَّذين نهضوا بأعباءِ الإصلاح في الأمَّة الجزائريَّة بهمَّةٍ عالية، ومن الأفذاذ الَّذين تجنَّدوا لتطهير الحنيفيَّة السَّمحة ممَّا شابها من البدع والخرافات بعزيمةٍ صادقة:

الشَّيخ أبو إبراهيم عيسى بن السَّعيد عليَّة الإبراهيمي الدِّيسي رحمه الله

هو «الإبراهيمي»: نسبةً إلى «إبراهيم الغول»؛ دفين بلدة «بوسعادة»، وواحدٌ ممَّن يُشار إليهم بالصَّلاح فيها.

وهو «الدِّيسي»[١]: نسبةً إلى قرية «الدِّيس»؛ من قرى جنوب «بوسعادة».

مولدُهُ وتعلُّمه الأوَّلي:

ولد في قرية الزرارقة من ولاية المسيلة سنة (١٨٨٣م)، وفيها حفظ جزءً من القرآن الكريم، ولما بلغ سنَّ اثنتي عشرة سنة توجَّهَ إلى «زاوية الهامل»[٢]، الَّتي تبعدُ عن «بوسعادة» بنحو (١٥كلم).

في زاوية الهامل:

أتمَّ الشيخ عيسى حفظ القرآن الكريم بالزَّاوية الهاملية، وفيها أكمل معلوماته وأتمَّ دراسته على العالم الشَّهير «محمَّد بن عبد الرحمن الدِّيسي»(ت:١٣٣٩هـ =١٩٢١م)[٣]: «الَّذي كان شديد الإعجاب به»[٤]، وقد لازمَهُ ملازمةً شديدةً وأخذ عنه الكثيرَ، وإذ كان الدِّيسيُّ ضريرًا فكانَ يقرأُ له ويكتب وينتفع في الوقتِ نفسِهِ بعلومه ومعارفه، قال عنهُ الأستاذ الحسن فضلاء في ترجمة الشَّيخ الدِّيسي: «أحدُ تلامذتِهِ وحافظُ سرِّهِ وملازمُهُ في الدِّيس»[٥].

«ولمَّا زاره [أي: الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّحمن الدِّيسيّ] أبو النَّهضة الجزائرية الشَّيخ عبد الحميد بن باديس في قرية الدِّيس المشهورة .... قَدَّمَهُ إليه وعَرَّفَهُ بِهِ ومِن ثَمَّ تَوَثَّقتْ الصِّلةُ بينهما»[٦].

«قضى [الشَّيخُ عيسى] في الزَّاوية وملازمةِ الأستاذ الدِّيسيِّ قرابةَ خمسة عشر عامًا فتخرَّج مع

[١] هكذا وجدتُهُ منسوبًا كما في جريدة «البلاغ الجزائري»، فلعلَّهُ نشأَ بالدّيس.

[٢] «من أعلام الإصلاح في الجزائر» للأستاذ الحسن فضلاء (١/ ١٠٦-١٠٩).

[٣] «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ١٠٦-١٠٩).

[٤] مقال: «من دعائم النهضة الإصلاحية: أبو إبراهيم الحاج عيسى علية» للشيخ عمر العرباوي نُشِرَ في «البصائر»، السلسلة الثانية، العدد (٢٨١)، (ص٧).

[٥] «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ٥٥).

[٦] مقال: «من دعائم النهضة الإصلاحية: أبو إبراهيم الحاج عيسى علية» للشيخ عمر العرباوي.

إذنٍ له بالتَّدريس»[١].

أقولُ: وجدتُ الشَّيخَ عيسى مَنْسُوبًا إلى الدِّيس، كما في جريدة «البلاغ الجزائري»[العدد (٢٠٨)، ٦ ذي الحجة ١٣٤٩هـ/٢٤ أفريل ١٩٣١م/(ص٣)]، والظَّاهرُ أنَّ هذه النِّسبة جاءتْهُ من إقامتِهِ بهَا مُلازمًا لشيخِهِ الدِّيسي، فقد كان هذا الأخيرُ متنقِّلاً بين الدِّيس وزاوية الهامل.

انتقالُهُ إلى بلدة سيدي عيسى، واشتغالُهُ بالتِّجارة:

لم يُباشر الشيخ عيسى التَّدريس إلاَّ بعد أن ضمن لنفسه ولأهله العيش عن طريق التِّجارة كما يقولُ الأستاذ الحسن فضلاء رَحِمَهُ اللهُ، فَـ«فَتَحَ دكَّانًا في سيدي عيسى لتجارة الأقمشة واختار هذه البلدة لما لها من نفوذ تجاري واسع، لأنّها ملتقى معظم الأعـراش المحيطة بها، ولمَّا تمكَّن من تجارته واستقام له أمرها، نظَّم دروسًا علميَّةً للطَّلبة، ومن ثمَّ بدأ في نشر دعوته الإصلاحيَّة وأخذ يقاوم البدع والخرافات، ويسعى في تطهير العقول والأفكار»[٢].

بِدَايَاتُ الجَهْرِ بالدَّعوة الإصلاحيَّة:

تقدَّم قريبًا أنَّ الشَّيخ عيسى بدأ الجهرَ بالدَّعوة الإصلاحيَّة لمَّا استقرَّ بـهِ المقام بقرية «سيدي عيسى»، على ما أفاده الأستاذ الحسن فضلاء، أمَّا الشَّيخ عمر العرباوي فَيَذْكُرُ أنَّ البداية كانت قبل ذلك، حينَ تخرُّجِهِ من المعهد الهاملي؛ يقولُ: «أخـذ أبو إبراهيم يدعو إلى الإصـلاح ومحاربة الجهل والجمود ونَبْذِ الأوهام الَّتي مرَّغت النَّاس في الأَوْحَال في الأَحْـوَاز والأَعْـراش، وأخيرًا ألقى عصا التِّرحال والتِّطواف بقرية سيدي عيسى».

مُناصرةُ جريدة «الإصـلاح» وصاحبها الزَّعيم الشَّيخ الطَّيِّب العُقبي:

صدرت جريدة «الإصـلاح» للزَّعيم السَّلفيِّ الشَّيخ العلاَّمة الطَّيِّب العقبي، في بلدة «بسكرة»، ومن «المطبعة العلميَّة» الَّتي اشترها المصلحون بأموالهم مساندين الزَّعيمَ العُقبي، وكان للإصلاح وصاحبِهِ أنصارٌ كثيرون ومؤيِّدون عاملون على نشرِ الجريدة والتَّرويج لها، وقد نوَّه العقبيُّ بهؤلاء الرِّجال وبخدماتهم، كما عرَّفَ في جريدته بوكلائه الشَّرعيِّين في المدن والقرى، ومنهم المترجَمُ لهُ، جاء في جريدة «الإصلاح» [العدد (١٢)، (ص٣)، ٨ رمضان ١٣٤٨هـ/ ٦ فيفري ١٩٣٠م] تحت عنوان: «وكلاء الجريدة»: « وكيلنا الشَّرعي ونائبُنا المعترَف بـه.....في بلدةِ «سيدي عيسى» السَّيِّد: الحاج عيسى بن السَّعيد...»، وذكرَ أسماءَ آخرين، وقال أخيرًا: «هؤلاء نوَّابٌ شَرعيُّون عن جريدة الإصلاح...»اهـ.

الشَّيخ عيسَى مِن أهلِ البرِّ والإحِسان:

وقفتُ في «الشِّهاب» لابنِ باديس على (بيان ما تبرَّع به المُحسِنُون على صندوق الطَّلَبَة)، أي: طلبة الجامع الأخضر بقسنطينة، وكانَ مِن جُملةِ هؤلاءِ

[١] «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ٥٥).

[٢] «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ١٠٦-١٠٩).

السَّادَة المُحسِنين: «عيسَى بن السَّعِيد «سيدي عيسَى»...»، وعلَّقَ ابنُ باديس بقوله: «شكرَ اللهُ للَّذين تبرَّعُوا بما تبرَّعُوا بِهِ مُتطوِّعينَ لطلبةِ العلم والدِّين حتَّى أكملُوا سنتهم ونالُوا -إن شاء الله- ممَّا قصدُوا بُغيَتَهُم، وإنَّا لنرجُو مِن أهل البرِّ والإحسان أن يمدُّوا يد الإعانة كعادتِهم حتَّى يقضوا دَينَ السَّنة الماضية ويحيوا السَّنة الآتية، والله يجازيهم أفضل ما جازَى به المحسنين...»[١].

دَوْرُهُ العظيم في بناءِ مسجدِ بلدة «سيدي عيسى»:

دعا الشيخُ إلى بناء مسجدٍ في القرية تُؤدَّى فيه الصلوات وتلقى فيه دروس الوعظ والإرشاد، فلم يستجب لدعوته إلَّا النَّزر القليل، فاستعانَ بالله تعالى، وشَرَعَ في بنائه في سنة ١٩٣٠م، واسْتَغْرَقَ في بنائه عامًا كاملاً، وفي يوم (٢٥/ ٠٩/ ١٩٣١م) أُقيم حفلُ تدشينِهِ[٢].

وأسوقُ هنا خَبَرَ افتتاحِ المسجدِ كما جاء على لسانِ مُكَاتِبِ جريدة «النَّجاح» [العدد (١٢١٥)، ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ الموافق لـ: ٧ أكتوبر ١٩٣١م، (ص٢)، والعدد الذي يليه: (١٢١٦)، ٢٥ جمادى الأولى ١٣٥٠هـ الموافق لـ: ٩ أكتوبر ١٩٣١م، (ص٣)]:

«سيدي عيسى: الاحتفال بتشييد مسجد القرية: ... بُشرى نزفُّها لإخواننا الجزائريّين وتُحفةٌ نُقدِّمها لعموم المسلمين، وذلك أنَّه في أوَّل هذه السَّنة حَرَّكَتْ الغَيْرَةُ الوطنيَّة ودَعَتْ الهِمَّةُ الدِّينيَّة الشَّهْم الغيور ذا الرَّأي السَّديد العلاَّمة المصلح السَّيِّد الحاج عيسى بن السَّعيد المتخرِّج من «زاوية الهامل» العامرة المقيم حالاً بقرية سيدي عيسى إلى تأسيس مسجدٍ فيها، فقام على ضعفِ الحال وقلَّة المساعد والمعين له بالمال باذلاً لجهده ومخلصًا في قصده، فأسَّس مسجدًا وبنى بإزائهِ مكتبًا عربيًّا لتعليم أبناء الأهالي الكتاب العزيز والعلم الشريف، وشاركه في البعض منه صاحبُ المروءة والكرم السَّيِّد محمَّد بن الحاج قويدر، وبعد مكابدته لصعوبات البناء ومعانات مطالب لوازمه الثَّقيلة خصوصًا، [كان يومُ الاحتفال]... ووَفَدَ عليه من بوسعادة البعضُ من علمائها المتنوِّرين... حيثُ إنَّ جُلَّ من حضر من أعيان النَّاحية وأفاضلها يبلغ عددهم تقريبًا نحو الخمسمائة...ثمَّ قام العلاَّمة السَّيِّد الحاج عيسى فَرَقى المنبر... وألقى على مسامع الجمهور خطبةً فائقةً تضمَّنت الحثَّ على عمارة المساجد وبيان فضلها وثمرتها وفضل مؤسِّسها والمعين على بنائها وما ورد في ذلك من الآيات الصريحة وأعقب ذلك بالترغيب في التَّعاون والتَّعاضد ومدِّ يد المساعدة لبعضنا بعضًا، وذكر أنَّ الوطنَ في حاجةٍ إلى رجال عالمين بما يجبُ عليهم لأبناء جنسهم عاملين بما يطلبه منهم دينهم ووطنُهُم...»اهـ.

وهكذا بنى الشَّيخُ مسجدًا من مالِهِ الخاصِّ وحَبَّسَهُ على المسلمين، وذلك لنشر دعوته

[١] «الشِّهاب»، (ص٣٩٥).

[٢] «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ١٠٦-١٠٩).

الإصلاحيَّة والقيام بواجب الوعظ والإرشاد والتّدريس فيه[١].

معتمدًا لدعوة «جمعية العلماء» في «بوسعادة» ونواحيها:

يقولُ الشَّيخ عمر العرباوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولمَّا برزت جمعية العلماء إلى ميدان العمل اعْتَمَدَتْهُ في تلك النَّواحي المظلمة، فقام بما عهد إليه أحسنَ قيام وبَـذَلَ مجهوداتٍ جبَّارة ومساعي مشكورة في الإصلاح والنَّهضة الإصلاحيَّة».

مَنْهَجُهُ في العملِ الإصلاحيِّ:

يقولُ الشَّيخ عمر العرباوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت هذه القرية مَرْتَعًا خَصْبًا للجهل والخرافات ومركزًا هامًّا لقطع الطَّريق واللُّصوص، وبدأ يُشجِّع النَّاس على التَّعليم ويُهِيبُ بهم أن يطلبوا الإسلام من مصدَرَيه الصَّحيحين وينبذوا ما سواهما من الاختلافات المذهبيَّة، وأخذ يُقاومُ البدع الَّتي شوَّهت الإسلام وذهبت بتعاليمه السَّامية من النُّفوس حتَّى تركَتْهَا تَتَخَبَّطُ في الظَّلام، وذلك بالدُّروس والمحاضرات والتَّآليف فكان يُضمِّنها من الحجج القويَّة والاستدلال الصَّحيح من الكتاب والسُّنَّة وما اجتمع عليه سلف الأمَّة ما يَقْصِمُ ظَهْرَ كلِّ متكبِّر ومعاند ويخرس كلَّ لسان أفَّاك».

حُسْنُ بَلَائِهِ وجميلُ صَبْرِهِ في سبيلِ الدَّعوة:

يقول الشَّيخ عمر العرباوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقي من الَّذين أعمى التَّعصُّبُ بصيرتهم وزيَّن لهم الجهلُ مكانتَهم من الدِّين الَّذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم مقاومة شديدةً فثاروا عليه وعلى الإصلاح الَّذي جاء به ثورة جنونيَّةً، فلم يحكِّموا العقل فيها ويلتجئوا إلى الأساليب المعقولة، فقابل هذه الثَّورة الجامحة بحِكْمةٍ وعزمٍ وصبرٍ ورباطةِ جَأْشٍ، وقال لهم إن كنتم تُريدون الإسلام فهَلُمَّ نحكِّم قرآنَهُ كما يقول الله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] حتَّى يتبيَّن الحقُّ من الباطل والصَّواب من الخطأ، ولكن القوم لم يَـدُرْ في خلدهم هذا بل جابهوه مِن أوَّلِ مرّةٍ بالعُنْف فأَغْرَوا به العامَّة وسلَّطوا عليه سفهاءهم حتَّى ضربوه في السُّوق علانيةً بدون خجلٍ، وقام المصلحون يدافعون عنه وكادت تكون فتنة، فقَضَى عليها في مهدها بكلماتٍ لطيفةٍ حسمت النِّزاع من ساعته، غير أنَّ القضيَّة رُفعت إلى الحكومة من حيث لا يشعر، ولمَّا علم بها سحبها في الحال فناقشه القاضي في ذلك فقال له: إنَّ القضيَّة لا تعدو قضيَّة عائلة وأحقُّ بالنَّظر فيها جماعةٌ من المسلمين، بهذا الحِلْم والموقف الرَّائع كَسَبَ أنصارًا جُدُدًا للحركة الإصلاحيَّة».

[١] مقال: «من دعائم النهضة الإصلاحية: أبو إبراهيم الحاج عيسى علية» للشيخ عمر العرباوي، و«المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر» للأستاذ الحسن فضلاء (٢/ ١٦٩).

مدرسة «سيدي عيسى» لَبِنَةٌ أخرى في صَرْحِ التَّعليم (الإسلامي العربي) الحرِّ:

وإلى جانب المسجد أَسَّسَ الشَّيخُ في سنة (١٩٣٤م) مدرسةً لتعليم النَّاشئة تحملُ اسمَ: «مدرسة التَّهذيب والمواساة»، وكَوَّنَ على رأسها جمعيةً محلية تتألَّف من ٢٢ عضوا للإشراف عليها، وترأَّسها بنفسه كما ترأَّسَ «شُعبة جمعية العلماء» في البلدة[١].

يُشرف على المدرسة خمسةٌ من المعلِّمين: الأستاذ قويدر التيجاني الأغواطي (مدير المدرسة)، والشيخ عيسى عليَّة يُدرِّس فيها بنفسِهِ للطَّلبة الكبار يُعِدُّهم للمعاهد العلميَّة، وأبناؤُهُ الثلاثة: إبراهيم، والسعيد، وقويدر، لا يتقاضون على التَّعليم أُجرةً سوى المدير[٢].

وانطلقت المدرسة تؤدِّي رسالتها التَّعليميَّة التربويَّة، تخرَّج منها حفظةٌ للقرآن الكريم، مع الإلمام بمبادئِ العلوم.

وقد زارها «متجول «البصائر»» الشيخ أحمد حماني في سنة ١٩٣٨م وكتب عنها ومما قالهُ: «ولكي تدرك حيوية هذه البلدة يجب أن تنظر ما فيها من المشاريع؛ فيها مسجدان. مسجد قام به الفاضل السيد الحاج عيسى... وبالبلدة مدرسةٌ يتعلم فيها الصبيان القرآن ومبادئ العلوم وتديرها «جمعية التهذيب» وعلى رأسها -أيضًا- الفاضل الحاج عيسى الذي له آثارٌ محمودةٌ في بثِّ الإصلاح ومقاومة الطُّرُقيَّة»[٣].

وقد نَالَ هذه المدرسة مِن تعسُّف الإدارة الاستعمارية وتعنُّتِهَا ما نَالَ غيرها من المدارس الإسلامية العربية الحرَّة، وقد جاء قرارُ تعطيلها وإيقاف نشاطها في سنة (١٩٣٩م) في سلسةِ قرارات الجَوْر وحملات الاضطهاد الَّتي مسَّت مدارس جمعية العلماء والمشرفين عليها، وما لبثت المدرسةُ أن عاودت نشاطها، غير أنَّه نشاطٌ نسبيٌّ لأجل الظُّروف السَّائدة عشيَّةَ الحرب العالمية الثّانيّة[٤].

كيدُ الحكَّام الاستعماريّين وسعايةُ أذنابِهم يُوقعانِ بالشَّيخ عيسى:

لم يكن الحكام الاستعماريُّون ولا أذنابُهم ليستسلموا لانتصاراتِ الشَّيخ والنَّجاحاتِ التي حقَّقها في البلدة، والّتي خافوا منها على ذهاب سلطانهم وزوال نفوذهم، فصاروا ينتهزون الفرصة للإيقاع به، وتآمرت الطائفةُ الضَّالَّةُ المتآمرةُ على مصالح الأمَّة وعلى دينها: «وصارت تَكِيدُ له من

---

[١] «المسيرة الرائدة» (٢/ ١٦٩).

[٢] «من أعلام الإصلاح في الجزائر»(١/ ١٠٦)، و«المسيرة الرائدة» (٢/ ١٧٠).

[٣] «البصائر»، السلسلة الأولى، العدد (١٢٦)، (ص٨)، ١٥ جمادى الثانية ١٣٥٧هـ- ١٢ أوت ١٩٣٨م.

[٤] «من أعلام الإصلاح في الجزائر»(١/ ١٠٦)، و«المسيرة الرائدة» (٢/ ١٧٠).

حينٍ لآخر وتتربَّصُ به الدَّوائر حتَّى جاءت حوادث ٨ ماي المشؤومة سنة ١٩٤٥م فاعتبرتها فوزًا كبيرًا ونَصْرًا حاسمًا لخطَّتها المجرمة فَوَشَتْ به إلى الحكومة بدعوى أنَّه يحثُّ النَّاس على الثَّورة فألقت هذه عليه القبض ونَفَتْهُ إلى صحراء «كلومب بشار» مع المنفيِّين فاعتراه داءٌ عضال»[١]، «واشتدَّت به وطأة المرض فنُقل إلى مستشفى «سيدي بلعباس» وبعد ما يَقربُ من عامٍ بين المعتقل والمستشفى أُطلق سراحُهُ بعد أن فقدَ كلَّ قواه البدنيَّة لاعتلال صحَّته، وللتَّسمُّم الَّذي تعرَّض له وتُؤكِّد منهُ»[٢].

على فراش المرض:

لَزِمَ الشَّيخ عيسى الفراش مُعْتَلاً بعد الإفراج عنهُ، ولئن كان ببدنه مُقعدًا متخلِّفًا عن إخوانه المصلحين الَّذين كانوا يستعدُّون لبعث نشاط «جمعية العلماء» من جديد، واستئناف أعمالها وإعادة فتح مدارسها رافِعِينَ بذلك تحدِّيًا للحكومةِ الاستعماريَّة، فإنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ كان معهم بقلبه، يتطلَّعُ لسماعِ انتصاراتِ إخوانه على قِوَى المَكْر وأحلاف الجهل والجمود، وكان يأمُلُ أن لو كان فيها جَذْعًا صحيحًا فيقف مواقفهم ويشدُّ مِن أزرهم ويقوِّي جمعهم، يُحدّث الأستاذ طاهر الطاهري رَحِمَهُ اللَّهُ (١٩١٥م-١٩٩٦م) الَّذي واصل مِنْ بَعْدُ المسيرةَ ونهض مع أبناءِ الشَّيخِ وأنصارِه ومحبِّيه لتهيئةِ بَعْثِ مدرسة التَّهذيب مِن جديدٍ، يقولُ:

«أُصيب بمرضٍ عضال في المنفى، ولم يلبث بعد خُروجه إلَّا شهورًا معدودةً كان يُقاسي في خِلالها الأَمرَّين، ولعلَّ من غرائب الصُّدَف أنَّني لمَّا رجعتُ من الاجتماع العامِّ لجمعيَّة العلماء الواقع يوم الأحد في ٢٠ شعبان الموافق ٢١ جويلية ١٩٤٦م عُدتُهُ وهو يذوب من شدَّة الألم يومًا بعد يوم...فهشَّ لمقابلتي واستهلَّت أساريرُ وجهه لأنَّه كان يتطلَّع إلى أخبار المؤتمر، فأوَّل ما بادرني به هو قولُه: «حدِّثْني عن المؤتمر وعمَّا تمخَّض عنه من تصميمات»، هذا الاجتماع الذي دام ثلاثة أيَّام، وأَبْدَى تأسُّفه عن عدم الحضور، ولمَّا أخبرتُهُ عن مقرَّرات الجمعية وما هي عازمةٌ على تنفيذه من أعمالٍ بنَّاءةٍ في تأسيس المدارس الحرَّة ونشر اللُّغة العربية وتكوين الشَّباب الجزائري على مبادئ الإسلام الحنيف، وهنا سَكَتَ بُرْهَةً وكأنَّه يسْتذكِرُ شيئًا نَدَّ مِنْ ذاكرتِهِ وهو يحاول التَّلفُّظ به، وما لبث أن افتر عن ابتسامة يشعُّ منها الإيمان والاطمئنان والابتهاج بهذا النَّبأ السَّارِّ الذي رأى فيه أنَّ بعض أُمنياته الَّتي كان يتمنَّاها لهذا الشَّعب المضطهَد ستتحقَّق رغم ما أصابه هُوَ مِن مِحَنٍ وأَوْصَابٍ وما هو يعانيه في تلك اللَّحظات من سكرات الموت، قالها كلمةً واعظةً تبقى درسًا للخَلَف السَّالكِ وراء السَّلف الصَّالح: «الآن جاء دورُكم يا معشرَ

[١] مقال: «من دعائم النهضة الإصلاحية: أبو إبراهيم الحاج عيسى علية» للشيخ عمر العرباوي.

[٢] «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ١٠٩).

المعلِّمين في إحياءِ لغةِ القرآنِ الكريم» »اهـ[١].

وفاتُهُ:

يقول الأستاذ الطاهر الطاهري رَحِمَهُ اللَّهُ: «تُوفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ يوم ١٦ ديسمبر ١٩٤٦م عن عمر نيف عن السِّتِّين عامًا، وكان يومُ دفنه في «سيدي عيسى» يومًا مشهودًا، صلَّى عليه خلقٌ كثير من دائرة بوسعادة والمسيلة وسور الغزلان ومن كلِّ النَّواحي»اهـ[٢].

آثارهُ الكتابيَّة المطبوعة والمخطوطة[٣]:

لقد ترك الشيخ عيسى رَحِمَهُ اللَّهُ آثارًا علميَّة مطبوعةً ومخطوطةً، منها:

ـ رسالةُ الأَسِنَّة في الرَّدِّ على مَن آمن بالطَّاغوت وخَالَفَ السُّنَّة، وقد طُبعت بمطبعة الاتِّحاد في تونس سنة (١٩٣٦م).

ـ كشف الخبايا في ابن الزَّوايا، وقد صُـدِّرَتْ هذه الرِّسالة باسمٍ مستعار، هو: الجزائري العربي بن الطَّاهر، وطُبعت في المطبعة العربيَّة، ٧٠ نهج روفيكو بالجزائر سنة (١٩٣٥م).

ويقول عنها الشيخ عمر العرباوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومِن جملة التَّآليف الّتي كان يُصدرها كتابٌ صغيرٌ سمَّاه «كشف الخبايا في أبناء الزَّوايا»، فَضَحَ فيه أعمالهم ونيَّاتهم السَّيِّئة نحو الإسلام والمسلمين، وقال: إنَّ الزُّهد والتَّقوى اللَّذَين يتظاهرون بهما ما هي إلاَّ مظاهر كاذبة وادِّعاءات جوفاء يخدعون بهما الأمَّة ليستغلُّوها في مصالحهم»اهـ.

ـ رسالةُ الصَّوَارِمِ والأَسِنَّة في نَحْرِ مُنْكِرِي العَمَلِ بالسُّنَّة (مخطوط).

ـ مقالات عديدة (مخطوطة).

ـ فتاوى شرعيَّة علميَّة(مخطوطة).

ـ خطب منبريَّة(مخطوطة).

كما تحوي مكتبتُهُ مجموعةَ مُكَاتَبَاتٍ مِنْ رجالِ جمعيّة العلماء: ابن باديس والعُقبي والتّبسي ومحمَّد العيد وغيرهم.

أُمنية:

أقولُ: عسى أن ترى هذه الآثـارُ طريقها إلى النَّشر، ويُبَادر أحفادُ الشَّيخ إلى تعميمِ الانتفاع بها.

وقد نَشَرَتْ بَعْضُ الصُّحف اليوميَّة، أنَّه تمَّ تَشييدُ مدرسةٍ قرآنيَّةٍ بسيدي عيسى تحملُ اسمَ الشَّيخ، وأنَّ هناكَ من يعملُ على تحقيقِ آثـارِهِ وتهيئتِها للنَّشر، فعسى أن يكونَ قريبًا.



[١] «أيام ومذكرات الحاج طاهر الطاهري»(ص٢١-٢٣).

[٢] « أيام ومذكرات الحاج طاهر الطاهري»(ص٢٣).

[٣] انظر: «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ١٠٦-١٠٩).

آثارٌ سَلَفِيَّة

في حُسْنِ مُعاشَرَةِ الإِخْوَان

■ عن الحسن، أَنَّ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كان يَذكُرُ الأَخَ مِن إِخْوَانِهِ، فيقولُ: «يَا طُولَهَا مِن لَيْلَةٍ»!، فإذَا صلَّى الغَدَاةَ غَدَا إِلَيْهِ، فَإِذَا لَقِيَهُ الْتَزَمَهُ وَاعْتَنَقَهُ [تاريخ بغداد- ت بشار (٢٧/٩)] [محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٦٩٧/٢)].

■ قِيل لعمرِو بن العاص: ما المُرُوءَةُ؟ فقال: «يُصْلِحُ الرَّجُلُ مَالَهُ، ويُحْسِنُ إِلَى إِخْوَانِهِ» [الطبقات الكبرى (٢٦٠/٤)].

■ رَوَى الأصمعي؛ أَنَّ سَعِيد بن العاص كَانَ يَدْعُو إِخْوَانَهُ وجيرانَهُ كُلَّ جُمعةٍ، فَيَصنَعُ لَهُم الطَّعام، ويَخْلَعُ عليهِم الثِّيابَ الفاخِرَةَ، ويَأمُرُ لَهُم بِالجوائِزِ الوَاسِعَةِ [تاريخ الإسلام - ت بشار (٤٩٩/٢)].

■ عن سلمى مولاة أبي جعفر؛ قالت: «كان يَدخلُ إليهِ إخوانُهُ، فلا يَخرجون مِن عِندِهِ حتَّى يُطعِمهم الطَّعامَ الطَّيِّبَ ويَكسُوَهم الثِّيابَ الحسَنَةَ ويَهَبُ لهُم الدَّرَاهِم». قالت: فأَقولُ لهُ: «بعضَ ما تصنعُ». فيقول: «يا سلمى! ما يُؤَمَّلُ فِي الدُّنيَا بَعدَ المَعَارِفِ والإِخوَان» [صفة الصفوة (١١٢/٢)].

■ عن الأسود بن كثير، قال: شَكَوتُ إلى محمَّدِ بنِ عليٍّ الحاجَةَ وجَفَاءَ الإِخوان، فقال: «بِئْسَ الأَخُ أَخٌ يَرْعَاكَ غنيًّا ويَقطعُكَ فقِيرًا». ثُمَّ أَمَرَ غُلامَهُ فأَخرَجَ كِيسًا فِيهِ سبع مائةِ درهمٍ، فقال: «اسْتَنْفِقْ هذهِ، فإذا نَفِدَت فَأَعْلِمْنِي» [صفة الصفوة (١١٢/٢)].

■ قال يعقوب بن شيبة: «أَنْفَقَ ابنُ عائشة على إِخوانِهِ أربع مئة ألف دينار في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، حتَّى التَجَأَ إلى بَيعِ سَقْفِ بَيْتِهِ» [تاريخ بغداد- ت بشار (١٧/١٢)][تاريخ الإسلام- ت بشار (٦٢٨/٥)] [سير أعلام النبلاء (٥٦٧/١٠)].

■ عن مُطَرِّف؛ أنهُ قال لبعض إخوانه: «يا أبا فلان! إذا كانت لكَ حاجةٌ، فلا تُكلِّمْنِي [فِيهَا]، واكتُبْهَا في رُقْعَة، [ثُمَّ ادْفعْهَا إِلَيَّ]، فإنِّي أَكْرَهُ أن أَرَى في وجهكَ ذُلَّ السُّؤَال» [سير أعلام النبلاء (١٩٤/٤)] [صفة الصفوة (٢٢٦/٣)].

■ كان عبد الله بن المبارك يَتَّجِرُ في البَزِّ، ويقول: «لولا خمسةٌ ما اتَّجَرْتُ: سفيان الثّوريُّ وسفيان بن عُيَيْنَة والفُضيل بن عِيَاض ومحمَّد بن السَّمَّاك وابن عليَّة. وكان يَخرُج يَتَّجِرُ إلى خُرَاسَان، فكُلَّمَا رَبِحَ مِن شيءٍ أَخَذَ القُوتَ لِلعيال ونفقةِ الحجِّ، والبَاقِي يَصِلُ بِهِ إِخْوَانَهُ الخَمسَةَ» [تاريخ بغداد ت بشار (١٩٦/٧)] [طبقات الحنابلة (١٠٠/١)].

■ قال معاذ بن معاذ: سمعت سَوَّار ابن عبد الله يقول: «ما كان بالمدينةِ رجُلٌ أَسْخَى بِمَا في يَدَيْهِ لِصَدِيقٍ أَو غَيرِهِ مِن ربيعةَ الرَّأي» [وفيات الأعيان (٢٩٠/٢)].

■ عن ابْـن وَهْـب، قَـالَ: أَنْـفَـقَ رَبِـيـعَـةُ على إِخْوَانِهِ أربعين ألف دينار، ثُمَّ جعل يَسْأَلُ إِخْوَانَهُ فِي إِخْوَانِهِ، فَقَالَ أَهْلُهُ: «أَذْهَبْتَ مَالَكَ وَأنت دَائِبٌ تُخْلِقُ جَاهَكَ؟» قَالَ: فَقَالَ: «لَا يَـزَالُ هذا دَأْبِي وَدَأْبُهُم، ما وَجدتُّ أَحَدًا يُعْطِينِي عَلَى جَاهِي» [تاريخ بغداد ت بشار (٤١٤/٩)]

■ كان مُـوَرِّقٌ رُبَّمَا دخل على بعضِ إخوانِهِ فيَضَعُ عِندَهُم الدَّرَاهِم، فيقول: «أَمسِكُوهَا حتى أَعُودَ إِلَيكُم»، فإذا خَرَجَ، قال: «أَنتُم مِنهَا في حِلٍّ».

■ عن جميل بن مُرَّة، قال: كان مُوَرِّقٌ يَجِيئُنَا إلى أَهْلِنَا بِالبصرة بِالصُّرَّةِ، فيقولُ: «أَمْسِكُوا لنَا هذِهِ عِندَكم، فإذا احتَجْتُم إِلَيْهَا فَأنفِقُوها، فيَكُونُ آخرَ عَهْدِهِ بِهَا».

■ كان مُوَرِّقٌ العِجليُّ يَتَّجِرُ، فيُصِيبُ المالَ، فلَا تَأتِي عَلَيهِ جُمعةٌ وعِندَهُ مِنهُ شيءٌ. وكانَ يَلقَى الأَخَ لهُ فُيعطِيهِ أربعمائة، خمسمائة، ثلاثمائة، فيقول: «ضَعْهَا لَنَا عِندَك حتَّى نَحتاجَ إليها»، ثمَّ يَلقاهُ بعد ذلك، فيقول: «شَأْنُكَ بِهَا»، ويقول للآخر: «لَا حاجَةَ لَنَا فيهَا»، فيقولُ: «أَمَا وَاللهِ مَا نَحنُ بِآخِذِيهَا أَبَدًا، شَأْنُكَ بِهَا» [الطبقات الكبرى (٢١٥/٧)].

■ قال الأعمش: كان -أي: خيثمةُ بن عبد الرحمن- يُصِرُّ الدَّراهِم، فإذا [رأى] الرَّجُلَ مِن أَصحابه مُخَرَّقَ القَمِيص أو الرِّداء أو بِهِ خَلَّةٌ، تَحَيَّنَهُ، فإذا خرج مِن الباب، خرجَ هُو مِن بابٍ آخر حتَّى يَلقاه، فيُعطِيه، فيقول: «اشتَرِ قميصًا، اشتَرِ رداءً، اشتَرِ حاجةَ كذا».

■ وعن الأعمش قال: نَفِسَت امرأةُ المسيِّب بن رافع وهُو غائِبٌ، فاشترى لها خيثمةُ خادِمًا بِستمائة [صفة الصفوة (٩٣/٣)].

وَصِيَّة أحمد بن أبي سليمان الصَّوَّاف لِطَالِبِ العِلم

■ تَعريفٌ بصاحبِ الوَصِيَّة:

هو أحمد بن أبي سليمان يُعرفُ بالصواف، شيخٌ صالحٌ ثقةٌ فقيهٌ، أحد كبار المالكيَّة، مِن أصحاب سحنون، كانَ أكثرُ كلامِهِ حِكْمَةً، تُوفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٩١هـ).

■ نصُّ الوصيَّة:

قال أبو بكر المالكي: قال أبو جعفر أحمد بن أبي سليمان، فِيما أَوْصَى بِهِ لِطَالِبِ العِلْمِ:

«يا طَالِبَ العِلْمِ، إِذَا طَلَبْتَ العِلْمَ، فَاتَّخذْ لَهُ قَبْلَ طَلَبِه أَدبًا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طَلَبِه، واتَّخذْ لَهُ بَعْدَ طَلَبِهِ أَدَبًا تَسْتَعِينُ بِهِ على حَمْلِه، وَمِنْ أَدَبِ العِلْمِ الحِلْم، وَالحِلْمُ: كَظْمُ الغَيْظِ، وَأَن يَغْلِبَ عِلْمُكَ وَحِلْمُكَ هَوَاكَ، إِذَا دَعَاكَ إِلَى مَا يَشِينُكَ، وَعَلَيْكَ بِالوَقَارِ، وَالتَّعَفُّفِ، وَالرَّزَانَة، وَالصِّيَانَة، وَالصَّمْت، وَالسَّمْتِ الحَسَن، وَالتَّوَدُّدِ إِلَى النَّاس، وَمُجَانَبَةِ مَنْ لَا خَيْرَ فِيه، وَالجُلُوس مَعَ الفُقَهَاء، وَمَحَبَّةِ الأَخْيَار، وَمُنَابَذَةِ الأَشْرَار، وَالقَول الحَسَن فِي إِخْوَانِك، وَالكَفِّ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَلَا تَهْمِزْ أَحَدًا بِقَوْلٍ، وَلَا تَلْمِزْهُ، وَلَا تَقُلْ فِيه، وَلَوْ كَانَ عَدُوَّك، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَاكَ شَرُفْتَ عِنْدَ العُقَلَاء، وَعَرَفْتَ حَقَّكَ الجُلَسَاءُ، وَلَحِقْتَ بِالعُلَمَاء، وَهَابَكَ السُّفَهَاء، وَحَلَلْتَ مَحَلَّ الأَبْرَار، وَبَرِئْتَ مِنَ الأَشْرَار، فَافْهَم وَتَفَهَّمْ وَاسْتَعِنْ بِاللَّه يُعِنْكَ».

■ المصدر: «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية» لأبي بكر المالكي (١/ ٥٠٦)، وبِنَحوِهِ في: «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي عياض (٤/ ٣٦٩-وزارة الأوقاف)، وَ«معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» للدباغ (٢/ ٢١٠).

مِن رِحْلَات الشَّيخ الأزهري ثابت (٠٢)

كتب الشيخ لزهاري بن الأخضر ثابت (حفظه الله تعالى)[١] مُذكِّراتٍ وَذكرياتٍ عَن رِحْلاَتِهِ، وجدتُها بخطِّ يدِهِ ضِمن أوراقِهِ المَحفوظة في ملفاتٍ مُعنونَة و(مُؤَرْشَفَة) ومُرقَّمَة على عادتِهِ (حفظه الله) في ترتيب وتنظيم ما يَكتبُهُ.... وَمِن هذه الرِّحْلَات المُدَوَّنَة: رحلة إلى قسنطينة، [للمشاركة في الملتقى الفكري] (١٩٨٣).

قال (حفظه الله):

الرحلة الموفقة- زمن الكهولة ١٩٨٣ ملتقى الفكر الإسلامي

تلك هي رحلة قسنطينة بمناسبة الملتقى السابع عشر للفكر الإسلامي في ١١ شوال ١٤٠٣هـ يوليو ١٩٨٣م. فمِن بسكرة إلى قسنطينة أين الملتقى؛ وفعلا امتطيت الحافلة فجر الجمعة على الساعة [٤:٣٠] ونزلت بالمحطة بعد [٨:٤٥] وتوجهت حينًا إلى شارع زيغود يوسف عنوان صديقي الحاج رابح بقسنطينة فكان الوعد ثانيًا بجامع أحمد باي حيث تأدية صلاة الجمعة فدخلت المسجد مبكرًا أي على الساعة [١٠:٣٠] قصد أن أجد مكانًا في الصفوف الأولى، وإذا بي لم أجد مكانًا، وكل الصفوف مكتظة بالمصلين الذين جاؤوا من كل حدب وصوب، ضيوف الملتقى وطلاب وأصحاب الدعوة، أما رجال موكب الوزارة والدكاترة فهم في طريق الانتظار وقد خصصت إليهم في الصف الأول والثاني مقاعد محترمة. فما كان من دوري إلا أن تربصت وقت دخول الوفود وتصففت معهم والحمد لله، من قبل ومن بعد الصلاة.

تابع الرحلة الميمونة

«اللهم يا فالق الإصباح، بلِّغ مقاصد مَن دعاك في هذا الصباح»

سبق في البداية أن قلت: توجهت شارع زيغود يوسف نعم....لكن كان لزامًا علي أن أذكر قبل هذا عرضا آخر وقد بقي في الذاكرة: عندما نزلتُ بالمحطة العظيمة أدهشتني روعتها وإبداعها وتنسيقها الجميل، ولعلها المحطة الوحيدة من نوعها العصري الجميل في القطر الجزائري، اللهم الا محطة عنابة أو باتنة، وذلك في الشبه لا في القيم والتقييم لكل المصالح الإدارية أو المتطلبات الجماهيرية الضرورية وغيرها. بعد هذه النظرة القصيرة قصدت ساحة البريد الكبير والحديقة العامة واقتحمت من بين المارة نهج رحبة الجمال

[١] تُنظر ترجمته في العدد (٠٢) مِن هذه النَّشرة.

من أجل زيارة الذكريات عهد أواخر الثلاثينات أيام الجامع الأخضر ومزاولة التعليم فيه على شيخِنا عبد الحميد. هكذا مشيت خطوات في تلك الأنهج الضيقة بين الباعة والمبتاعين في سوق رحبة الجمال وتحققت من الغرفة التي كنَّا فيها والمسافة التي نقطعها صباحًا ومساءً إلى الجامع الأخضر، وتذكرت الرفاق رفاق البعثة الأخضرية وجل الإخوة ساروا إلى رحمة الله.

(٣)

ها أنذا في رحبة الجمال أمام مطعم بن جلول والمطعم لا يزال يحضر الأطعمة. فاخترت دكان الحلاق بجواره للحلاقة والتزيين، فجلست أترقب دوري مثل المترقبين، وإذا برجل يدخل علينا فجأة وكأنه ابن الدكان أو مديره يظهر عليه عهد الكهولة فما فوق. فانزوى ثم تقدم إلى المبرد فاستقى ثم حمدله وحوقله، ثم شرع يتدخل في الحديث حول العهد الماضي المفعَم بالنهضة العلمية والحركات الإصلاحية، وقسنطينة آنذاك مدينة الثقافة والفن والحضارة والكرم والقِرَى بأهل العلم والوفاء، أما الآن فلا وألف لا! عند ذلك فتح الباب للنقاش وشارك من كان مُقتدرًا وعاش ظروفها البعيدة والقريبة.

أما الرجل مُحدثنا فهو يظهر عليه أنه متكون وهاضم للوضع أكثر، فجاء بأشياء منطقية وواقعية، وضرب أمثلة واضحة حول رجال العلم اليوم والأمس وأهل الإصلاح والمصلحين وأين هُم؟ ومن هُم؟ كل ذلك لا يُنكر المنجزات الحالية والصناعة وتقدم الفكر الحضاري والثقافي، كل ذلك مشروط كما يقول. ونقول: ينبغي أن تتماشى الأشياء والإسلام.

(٤) ملحق (قول صاحب الدكان)

المسجد يقع فوق هضبة من قسنطينة وهو يطل على المباني كأعلى نقطة في المدينة.

المشاركون:

بعض الدول الإسلامية. العملة الصعبة (... الباكستان)

جل الدول العربية. العملة الصعبة (الكويت- السعودية)

الموظفون على مستوى القطر الجزائري (يوم كامل)

العمال

التجار- المحترفون- الفنيون- ......الأعمال اليدوية والحرة- المتطوعون

الشاحنات والرافعات- أدوات البناء.

الشركات على طريق رقم..........

مساهمة الشركات الوطنية

المهندسون- المهنيون وغيرهم

الخبراء = = (الماء. التربة. والمعدن)

المخططون لوضع الحجر الأساسي للأجنحة

المخططون المعماريون للبناء والتنسيق.

المخططون المختصون بالنقش والزركشة

المخططون المختصون بوضعية المسجد القيم

المشروع يقدر بالملايير.....؟

الآن ظهر ما لم يكن في الحسبان: أن الأرض غير صالحة لتحمل ما هو أكثر كما يقال ويزعم الزاعم!

التعليل: ان الأرض كانت غابة في القديم ثم مقبرة....إلى آخر...فمَن هو المسؤول؟

(٥) حول مسجد الأمير

إن هذا المسجد لروعة وإن داخله وزائره أول الأمر يبدو له وكأنه في قطر غير هذا القطر الشمالي الإفريقي العربي الإسلامي.

يبدو له حسب الشكل والتصميم والإبداع كأنه في قطر أو في الدوحة أو في الرياض.

جامع وجامعة بل أكبر من ذلك كله يسع آلاف المصلين وآلاف طلاب الشريعة الإسلامية وآلاف طلاب كلية الأصول والفقه الإسلامي، بالإضافة إلى الأجنحة الخاصة والعامة للزائرين والمضيفين الرواد، وقاعات المكتبات والمطالعة والاستقبال، ومصالح أخرى إدارية وغيرها.

إنه تخطيط فوق ما يتصوره العقل في هذه الأزمنة المعاصرة العصرية الحديثة في الجزائر الفتية التي هي حديثة عهد بالاستقلال. وقد سبقت دولاً قديمة في الحرية، سبقتهم في البناء والتشييد والتصنيع بخُطًى ثابتة وحكمة بالغة، وذلك من فضل الله....

ورحِمَ الله شهداءَنا الأبرار والمجاهدين الأخيار

«يتبع»



مِن إِنْشَادَات أبي طاهر ابن سِلَفَةَ الأصبهاني

هذه مُقطعات من شِعر المحدِّث الجليل والحافظ الكبير؛ بل حافظ الدُّنيا ومسندها وشيخ العلماء: أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني نزيل الإسكندريَّة؛ عُرف بـ«ابن سِلَفَة» وبـ«السِّلَفي»؛ نسبةً لجدِّ جدِّه إبراهيم الذي لُقِّب بـ«سِلَفَة»؛ لغِلَظ في شَفَتيه، كان من المعمَّرين، وُلدَ سنةَ (٤٧٥) تقريبًا، ومات سنة (٥٧٦هـ)، وقد جاوزَ المئةَ يقينًا رحمه الله.

فِي مَدْحِ العِلْم

العِلْمُ بَابٌ لِلشَّرَفْ ... وَمَا مِنَ العِلْمِ خَلَفْ

وَكُلُّ مَنْ خَالَفَنِي ... بَابُهُ تَبَنٌ وَعَلَفْ

[كتاب ألف باء، لأبي الحجاج ابن الشيخ، (٢٨/١)].

فِي مَدْحِ عِلْمِ الحَدِيث وَرِجَالِه

إِنَّ عِلْمَ الحَدِيثِ عِلْمُ رِجَالٍ ... تَرَكُوا الابْتِدَاعَ لِلاتِّبَاعِ

فَإِذَا جَنَّ لَيْلُهُمْ كَتَبُوهُ ... وَإِذَا أَصْبَحُوا غَدَوْا لِلسَّمَاعِ

[سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦)] [تاريخ إربل (ص: ٤١٥): فإذا اللَّيلُ جَنَّهُم....].

دِينُ الرَّسُولِ وَشَرْعُهُ أَخْبَارُهُ ... وَأَجَلُّ عِلْمٍ يُقْتَفَى آثَارُهُ

مَنْ كَانَ مُشْتَغِلاً بِهَا وَبِبَثِّهَا ... بَيْنَ البَرِيَّةِ لَا عَفَتْ آثَارُهُ

[المجالس الخمسة، ت مشهور،(ص٧٠)، بغية الطلب في تاريخ حلب (٢١٢/٤) بترقيم الشاملة آليا، الأنساب للسمعاني (٣/ ٢٧٤):...وبِنَشْرِهَا...].

مَا يُعْجِبُ المَالُ سِوَى مَائِقٍ ... إِذْ مُنْتَهَى المَالِ المَوَارِيثُ

وَالمَرْءُ مَنْ يُعْجِبُهُ العِلْمُ لَا ... غَيْرُ وَأَعْلَاهُ الأَحَادِيثُ

وَحَافِظُوهَا فُحُولٌ وَلَا ... يُبْغِضُهُمْ إِلَّا المَخَانِيثُ

[مشيخة أبي بكر المراغي (ص: ١٩٣-١٩٤)].

إِذَا ذُكِرَتْ بِحَارُ العِلْمِ يَوْمًا ... فَقَوْلُ المُصْطَفَى لَا غَيْرُ بَحْرِي

هُوَ البَحْرُ المُحِيطُ وَمَا عَدَاهُ ... فَأَنْهَارٌ صِغَارٌ مِنْهُ تَجْرِي

[الحافظ أبو طاهر السلفي للدكتور حسن عبد الحميد صالح، (ص: ١٨٠)].

يَا قَاصِدًا عِلْمَ الحَدِيثِ يَذُمُّهُ ... إِذْ ضَلَّ عَنْ طُرُقِ الهِدَايَةِ وَهْمُهُ

إِنَّ العُلُومَ كَمَا عَلِمْتَ كَثِيرَةٌ ... وَأَجَلُّهَا فِقْهُ الحَدِيثِ وَعِلْمُهُ

مَنْ كَانَ طَالِبَهُ وَفِيهِ تَيَقُّظٌ ... فَأَتَمُّ سَهْمٍ فِي المَعَالِي سَهْمُهُ

لَوْلَا الحَدِيثُ وَأَهْلُهُ لَمْ يَسْتَقِمْ ... دِينُ النَّبِيِّ وَشَذَّ عَنَّا حُكْمُهُ

وَإِذَا اسْتَرَابَ بِقَوْلِنَا مُتَحَذْلِقٌ ... مَا كُلُّ فَهْمٍ فِي البَسِيطَةِ فَهْمُهُ

[تاريخ دمشق (٥/ ٢١١)].

أَهْلُ الحَدِيثِ هُمُ الرِّجَالُ البُزَّلُ ... وَمِنَ المَعَالِي فِي الأَعَالِي نُزَّلُ

هَلْ يَسْتَوِي السَّمَكُ الَّذِي تَحْتَ الثَّرَى ... أَبَدًا مُقِيمٌ وَالسِّمَاكُ الأَعْزَلُ

[الحافظ أبو طاهر السلفي للدكتور حسن عبد الحميد صالح، (ص: ١٨٠)].

فِي حُسْنِ الحَدِيث

لَيْسَ حُسْنُ الحَدِيثِ قُرْبَ رِجَالٍ ... عِنْدَ أَرْبَابِ عِلْمِهِ النُّقَّادِ

بَلْ عُلُوُّ الحَدِيثِ عِنْدَ أُولِي الإِتْـ ... ـقَانِ وَالحِفْظِ صِحَّةُ الإِسْنَادِ

فَإِذَا مَا تَجَمَّعَا فِي حَدِيثٍ ... فَاغْتَنِمْهُ فَذَاكَ أَقْصَى المُرَادِ

[سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧)] [تاريخ الإسلام ت بشار (١٢/ ٥٧٦)].

فِي الأَمَالِي الحَدِيثِيَّة

وَاظِبْ عَلَى كَتْبِ الأَمَالِي جَاهِدًا ... مِنْ أَلْسُنِ الحُفَّاظِ وَالفُضَلَاءِ

فَأَجَلُّ أَنْوَاعِ السَّمَاعِ بِأَسْرِهَا ... مَا يَكْتُبُ الإِنْسَانُ فِي الإِمْلَاءِ

[المجالس الخمسة، ت مشهور (ص: ٥٣)] [المستخرج على المستدرك (ص: ٣٦): فأَجَلُّ أَنْوَاعِ العُلُومِ....].

فِي الوَاهِينَ مِنْ رُوَاةِ الحديث

❖ قال المقَّري: ويرحم الله تعالى السِّلَفيَّ الحافظ؛ إذ قالَ:

حديث ابن نسطور وقيس ويغنم ... وبعد أشج الغرب ثم خراش

ونسخةُ دينار ونسخةُ تربه ... أبي هدبة القيسي شبْهُ فَرَاش

[نفح الطيب (٣/ ٦٦)]

قال الحافظ ابن عَات: كان الحافظ السِّلَفيُّ إذا فرغ من إنشاد هذين البيتين ينفخ في يديه إشارةً إلى أن هذه الأشياء كالرِّيح انتهى.

فِي رِوَايَتِهِ لِلْحَدِيثِ وَإِتْقَانِهِ حَتَّى مَعَ كِبَرِ سِنِّهِ

لَيْسَ عَلَى الأَرْضِ فِي زَمَانِي   مَنْ شَأْنُهُ فِي الحَدِيثِ شَانِي
نَظْمًا وَضَبْطًا يَلِي عُلُوًّا   فِيهِ؛ عَلَى رَغْمِ كُلِّ شَانِي

[سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦-٣٧)] [الوافي بالوفيات (٧/ ٢٣١)، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي (ص: ٥٢): نقلًا ونقدًا ولا علوًّا....].

أَنَا إِنْ بَانَ شَبَابِي وَانْقَضَى   فَبِحَمْدِ اللهِ ذِهْنِي حَاضِرُ
وَلَئِنْ خَفَّتْ وَجَفَّتْ أَعْظُمِي   كِبَرًا، غُصْنُ عُلُومِي نَاضِرُ

[تاريخ إربل (ص: ٢٩٨)].

فِي اعْتِقَادِ أَهْلِ الحَدِيث

❖ قال في قصيدة له:

ضَلَّ المُجَسِّمُ وَالمُعَطِّلُ مِثْلُهُ   عَنْ منهج الحق المبين ضلالا
وَأَتَى أَمَاثِلُهُمْ بِنُكْرٍ لا رَعَوا   مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ حَاوَلُوا الإِشْكَالا
وَغَدَوْا يَقِيسُونَ الأُمُورَ بِرَأْيِهِمْ   وَيُدَلِّسُونَ عَلَى الوَرَى الأَقْوَالا
فَالأَوَّلُونَ تَعَدَّوا الحَدَّ الَّذِي   قَدْ حُدَّ فِي وَصْفِ الإِلَهِ تَعَالَى
وَتَصَوَّرُوهُ صُورَةً مِنْ جِنْسِنَا   جِسْمًا، وَلَيْسَ اللَّهُ عَزَّ مِثَالا
وَالآخَرُونَ فَعَطَّلُوا مَا جَاءَ فِي الـ   قُرْآنِ أَقْبَحَ بِالمَقَالِ مَقَالا
وَأَبَوْا حَدِيثَ المُصْطَفَى أَنْ يَقْبَلُوا   وَرَأَوْهُ حَشْوًا لا يُفِيدُ مَنَالا

قال الحافظ الذهبيُّ: وهي بضعةٌ وعشرون بيتًا.

[تاريخ الإسلام ت بشار (١٢/ ٥٧٧)] [طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ٤١)].

فِي البَرَاءَةِ مِن رُؤُوس البدعة

❖ قال في قصيدةٍ له سَمّى فيها أئمَّةَ السُّنَّة، ثُمَّ رؤوس البدعة والضَّلال:

فَلا تَصْحَبْ سِوَى السُّنِّيِّ دِينًا   لِتَحْمَدَ مَا نَصَحْتُكَ فِي المَآلِ
وَجَانِبْ كُلَّ مُبْتَدِعٍ تَرَاهُ   فَمَا إِنْ عِنْدَهُمْ غَيْرُ المُحَالِ
وَدَعْ آرَاءَ أَهْلِ الزَّيْغِ رَأْسًا   وَلا تَغْرُرْكَ حَذْلَقَةُ الرُّذَالِ
فَلَيْسَ يَدُومُ لِلْبِدْعِيِّ رَأْيٌ   وَمِنْ أَيْنَ المَقَرُّ لِذِي ارْتِحَالِ
يُوَافِي حَائِرًا فِي كُلِّ حَالٍ   وَقَدْ خَلَّى طَرِيقَ الاعْتِدَالِ
وَيَتْرُكُ دَائِبًا رَأْيًا لِرَأْيٍ   وَمِنْهُ كَذَا سَرِيعَ الانْتِقَالِ
وَعُمْدَةُ مَا يَدِينُ بِهِ سَفَاهًا   فَإِحْدَاثٌ مِنْ أَبْوَابِ الجِدَالِ
وَقَوْلُ أَئِمَّةِ الزَّيْغِ الَّذِي لا   يُشَابِهُهُ سِوَى الدَّاءِ العُضَالِ

[سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٤)].

❖ ومنها:

فَرَأْيُ أُولاءِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا   سِوَى الهَذَيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالِ
وَكُلُّ هَوًى وَمُحْدَثَةٍ ضَلالٌ   ضَعِيفٌ فِي الحَقِيقَةِ كَالخَيَالِ
فَهَذَا مَا أَدِينُ بِهِ إِلَهِي   تَعَالَى عَنْ شَبِيهٍ أَوْ مِثَالِ
وَمَا نَافَاهُ مِنْ خُدَعٍ وَزُورٍ   وَمِنْ بِدَعٍ فَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي

[سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦)].

وعلّق الحافظ الذهبيُّ عليها قائلًا: صدَقَ النَّاظمُ ﵀ وأجاد، فَلأَنْ يعيشَ المسلمُ أخرسَ أبكمَ، خيرٌ لهُ من أن يمتلئَ باطنُهُ كلامًا وفلسفةً!

فِي انْتِسَابِهِ إِلَى أَهْلِ الحَدِيث

❖ أنشدَ لنفسه شعرًا قاله قديمًا:

أَنَا مِنْ أَهْلِ الحَدِيثِ وَهُمُ خَيْرُ فِئَةْ
جُزْتُ تِسْعِينَ وَأَرْجُو أَنْ أَجُوزَنَّ المِائَةْ

[تاريخ الإسلام ت بشار (١٢/ ٥٧٧)] [التكملة لكتاب الصلة (١/ ١٦٠): .... أن أعيش لمائة].

قال المقَّري معلِّقًا: فعاش كما تَمَنَّى رحمه الله تعالى [نفح الطيب (٣/ ١٤٣)].

فِي إِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ

مَا لِي لَدَى رَبِّي جَزِيلُ وَسِيلَةٍ   إِلَّا اتِّبَاعِي دِينَهُ وَيَقِينِي
وَالدِّينُ حِصْنٌ لِلْفَتَى، وَعَقِيدَتِي   أَنَّ القَلِيلَ مِنَ اليَقِينِ يَقِينِي

[المجالس الخمسة، ت مشهور، (ص٩٠)، والغنية في شيوخ القاضي عياض (ص: ١٠٥)].

فِي مَدْحِ أهل أذربيجانَ وأهل الأندلُس

❖ وأنشدَ:

بِلادُ أَذْرَبِيجَانَ فِي الشَّرْقِ عِنْدَنَا
كَأَنْدَلُسٍ بِالغَرْبِ فِي العِلْمِ وَالأَدَبْ
فَمَا إِنْ تَكَادُ الدَّهْرَ تَلْقَى مُمَيَّزًا
مِنَ أَهْلِيهِمَا إِلَّا وَقَدْ جَدَّ فِي الطَّلَبْ

[نفح الطيب (٣/ ٢٢٤)].

فِي الوَعْظِيَّاتِ وَالزُّهْدِيَّاتِ

عَصَيْتُ إِلَهِي مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ   بِغَيْرِ رِضًى مِنِّي وَإِنِّي أَرْهَبُ
وَهَلْ يَرْتَضِي أَنْ يَعْصِيَ اللهَ عَاقِلٌ   وَلَكِنْ قَضَاءُ اللهِ مَا مِنْهُ مَهْرَبُ

[تاريخ إربل (ص: ٤١٥)].

وَهْرَان الإسلاميَّة

❖ **قال أبو القاسم ابن حوقل البغدادي (ق ٤هـ)[١] في «كتاب صورة الأرض» أو «كتاب المسالك والممالك... »، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، ١٩٩٢م، (ص ٧٨-٧٩):**

«ولمدينة وهران مَرْسَى في غاية السَّلامة والصَّوْن مِن كل ريحٍ، وما أظنُّ له مثلاً في جميع نواحي البَرْبَر، سِوَى مرسى موسى، فقد كنَفَتْهُ الجِبال، ولهُ مَدخلٌ آمِن، وعليها سُورٌ، وماؤُها مِن خارجِها، جَارٍ عليها في وادٍ، علَيهِ بساتينُ وأجنَّةٌ كثيرةٌ، فِيهَا مِن جميع الفواكه، وفي حاضِرَتِها دَهْقَنَةٌ وحِذْقٌ، وفِيهِم حَمِيَّةٌ مَعَ الغَريب، وهِيَ فُرْضَةُ[٢] الأَندلُس، إِلَيْهَا تَرِد السِّلاع ومِنها يَحمِلُون الغلال، والغَالبُ على بَادِيَتِها البَربَرُ مِن يَزْدَاجَة، وَهُم في وَقتِنا هذا في ضِمْنِ يوسف بن زِيرِي ابن مَنَّاد الصَّنْهَاجِي؛ خلِيفَة صاحِب المَغرِب».

❖ **وَقال أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) في «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب»، وهو جزء من «كتاب المسالك والممالك» (ص ٧٠):**

«وَمَدينةُ وهران حَصِينَةٌ، ذاتُ مياه سايحة، وأَرْحَاء مَاء، وبَساتين، ولها مسجدٌ جامعٌ».

❖ **وَقال الحسن الوزَّان الفاسي، المعروف عند الإفرنج بـ «ليون الإفريقي» في كتاب «وصف إفريقيا» (١/ ٣٠-٣١)، كُتبَها بين ٩٢١هـ وَ٩٢٦هـ:**

«وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كَانُونْ، بناها الأفارقة الأقدمون، على شاطئ البحر المتوسط، بعيدةٌ بنحو مائة وأربعين ميلاً من تلمسان، وبِها مِن البِنايات والمؤسَّسات ما تَتَمَيَّز بِهِ كلُّ مدينةٍ مُتَحَضِّرَة، مِن مساجد ومدارس وملاجئ وحمَّامات وفنادق، مُحاطةٌ بأَسوَارٍ عاليةٍ وجميلةٍ. يقع جزءٌ مِن المدينة في السَّهل، والجُزءُ الآخر في جبلٍ شديدِ الارتفاع، وكان معظم سكانها مِن الصناع والحَاكَة، ويَعيش الكثير من أهلها مِن مدخولهم، لكنها لم يَسُد فيها الرخاء، إذْ لم يكن يُؤكل فيها سوى خبز الشعير، ومهما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَإِنَّ أَهْلَهَا ظُرَفَاء كُرَمَاء يُحِبُّونَ الغُرَبَاء».



[١] رحل من بغداد سنة ٣٣١هـ ودخل المغرب وصقلية، وجاب بلاد الأندلس وغيرها. انظر: «الأعلام» للزِّركلي (٦/ ١١١).

[٢] الفُرْضَةُ مِنَ البَحْرِ: مَرْفَأُ السُّفُنِ.